يوسف

ويوسف بن يعقوب بن إسحاق وإسحاق بن إبراهيم ، عليهم السلام ، وكلهم من بابل ، وحتى الذى يهجر بابل ، لا يلبث أن يعود إليها .

* * *

وبابل منبع الأحلام ، ومزرعة الروحانيات ؛ وعجائب الدنيا أهمُّها برج بابل ، والحدائق المعلقة ، والسحراءُ فى بابل .

﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ ﴾

(البقرة الآية ١٠٢)

وبابل ، التى درج فيها إبراهيم ، والتى عاش فيها إسحق ، وخلف فيها ابنه يعقوب ، قبل أن يرحل ، ووصَّى ابنه ، أن يرجع إلى أخواله فى بابل ليزوجوه ، وليسندوه ويعززوه .

* * *

ومن بابل ، رجع يعقوب إلى الشام ، بزوجتين أختين ، وجاريتين ، وخلَّف من هاتين ، وهاتين ، اثنى عشر ولدًا .

* * *

وكان ألطفهم وأجملهم ، جمالاً فتَّانًا ، ولده يوسف ، فكان أبوه يعقوب يحبه ، ويختصنه ، ويشغل به كل وقته ، وينصرف به عمن سواه حتى تحركت نفس الأخوة ، ودبت الغيرة بين الضرّة والضرائر ، والأخ والإخوة ، وتفتحت الأعين ، وابتدأت المكايد .

* * *

وأصبح يوسف ، يقص على أبيه رؤيا ، رآها فى منامه

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَـٰجِدِينَ ﴾

(يوسف الآية ٤)

وأبوه يعقوب ، طول عمره فى الأحلام ، وتفسير المنام ، فليست الأحلام غريبة لديه ، ولا تفسيرها صعبًا عليه ، فقال ليوسف :

ومن يكون ياولدى يوسف ، الأحد عشر كوكبًا ، غير إخوتك الأحد عشر ؟ ومن يكون الشمس والقمر ، غير أمك وأنا ؟

تعبير رؤياك يابنى ، أن الله سيسعدك ، ويعلى قدرك ، حتى يكون إخوتك ووالداك فى احترامك وتعظيمك !

* * *

وهذه الرؤيا يا يوسف ، إذا سمعها إخوتك ، فسيغارون منك ، والغَيْرة تحرق المحبّة ، وتُعمى عن الأخوّة وتدفع على تدبير المكايد ، وتنفيذ الخطط التى يرسمها الشيطان .

﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾

(يوسف الآية ٥)

* * *

وسيختارك الله نبيًّا يا يوسف ، تهدى قومك وتأخذ بيدهم إلى طريق الله . وسيُتم الله نعمته عليك ، ويعلمك تفسير الأحلام ، وستعُم هذه النعمة أهلك ، كما أتم الله نعمته على جدك إسحق ، وعلى جدك الأكبر إبراهيم .

* * *

وبدأت المكايد والمؤامرات ، بين الإخوة الحاسدين لأخيهم يوسف فاجتمعوا فى ندوة ، بعيدًا عن أبيهم ، وقالوا

﴿ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ۗ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾

(يوسف الآية ٨)

إن أبانا لظالم فى إيثاره وتفضيله هذين الولدين علينا ، وإنه باحتضانهما ، وانصرافه عنا بهما ، سيضيع علينا كثيرًا من عطفه ورعايته ، وسنحرم بسبب هذين الولدين خيرًا كثيرًا .

ولا نستطيع أن نجبر أبانا على حبنا ، أو أن يقسم حبه بالعدل بيننا ، فقد انشغل كل قلبه بحبهما ، والقلب إذا مال وحبَّ ، سلانا وهجر .

* * *

والرأى ، أن نزيح هذا الولد يوسف من بين عينيه ، فنقتله ، أو نأخذه ونطرحه فى واد سحيق ، فتأكله سباعه ووحوشه ، فلا يعود يراه ، ولا يمضى زمن حتى ينساه ويسلوه ، ثم يعود إلى حبنا ورعايتنا .

والمؤامرات والمؤتمرون ، قد يكون فيهم واحد ، طيب القلب ، رحيم النفس ، رقيق الحس ، يقدّر عظم المسئولية ، فقال أخوهم الأكبر : ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾ (يوسف الآية ١٠)

ففى القتل وحشية ، وجلبٌ للعار ، وعقوقٌ للأبوة ، وإهدار للأخوّة .

إن كان لابد أنكم مصرون على إبعاد يوسف عن أبيه ، فلا تسجلوا على أنفسكم جريمة القتل ، واقذفوا به إلى أقصى الأرض ، أو ألقوه فى الجب ، فى هذه البئر ، فإن مات ، كان موته بعيدًا عن أعيننا ، وندعى أنه سقط وغرق فيها ، وإن عاش ونشله أحدٌ فسيذهب به إلى حيث لا رجعة .

* * *

وأعجب هذا الرأى ، الإخوة المؤتمرين ، وراق فى أعينهم ، فأقروه ، وقال واحد منهم ، نخلع عنه قميصه ، ونلطخه بالدم ، وندعى أن ذئبًا أكله ، فلم يبق منه شيءٌ إلا قميصَه !

* * *

وتمت المؤامرة ، واستقر الرأى ، وبدءُوا ينفذون .

* * *

وذهبوا إلى أبيهم ، يتلطّفون ويتخاضعون ، ويتصنّعون التودُّد والحنان . على يوسف الصغير المحبوب ، العزيز على أبيه ، وعلى إخوته جميعًا !

﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴾ (يوسف الآية ١١)

وعليه محافظون .

إنه يا أبانا محتاج إلى الرياضة واللعب ، والرُّتع فى الخلاءِ ، حيث الهواءُ ، والشمس الضاحية ، والفضاءُ الفسيح ، فيجرى دمه ، وتجود صحته ، ويزهو جماله ، ويمتد قوامه ، ويمتشف عوده ، ونحن حراسه ، وجنوده ، المحبون له ، المؤتمنون المحافظون عليه .

﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾

(يوسف الآية ١٢)

* * *

وقلب المؤمن دليله ، وفراسة الشيوخ ، قراءَة فى وجوه الناس ، فقال : يا أولادى ، إننى أخشى ، أن أسمح لكم به ، وأرسله معكم فتنشغلوا عنه ، فيهجم عليه ذئب فيأكله وأنتم عنه غافلون .

* * *

قالوا : عارٌ علينا يا أبانا ، أن نكون عصابة فى مثل عددنا ، وقوتنا ، وأن يغلبنا ذئب ، فيأكل أخانا الجميل يوسف .

إننا إن غفلنا عنه ، وأكله الذئب ، نخسر أخانا ، ونحرم رضا أبينا ، وتسوءُ سمعتنا الطيبة فى أهلينا ونستحق لوم الناس علينا .

* * *

وأخذوا يوسف ، وساروا به ، وعين يعقوب تشيّعهم ، وقلبه يسابقهم ، وروحه معهم ، حتى غابوا عن عينيه ، ودخلوا فى الخلاءِ ، واتسع لهم الفضاءُ ، ووصلوا إلى الجب . إلى البئر .

واجتمعوا عليه ، على طفل جميل ، مُدلّل فى حجر أبيه ، وما رأى شدة فى معاملة ، ولا تعود خشونة ولا خصومة ، وقلبه برىء من كل كُرهٍ وضغينة .

ثم هو يرى هؤلاء العشرة ، يتألبون عليه ، ويوسعونه شتمًا ولعنًا وضربًا ، ثم ينزعون عنه ثيابه ، ويمزقونها عَنْ جسده إلا قميصًا ترجاهم أن يتركوه عليه ، لعله يستره إذا عاش ، ويكفيه إذا مات .

وطرحوا أخاهم يوسف فى الجب المظلمة ، ويوسف مستسلم لقضاء الله ، فألهمه الله ، وأوحى إليه ، أن اصبر ، فسيأتى اليوم الذى يكرمك الله فيه ، ويرفع قدرك ، ويُحْوج هؤلاء إليك ، فتواجههم بقسوتهم ، وهم لا يشعرون ولا يدرون ، ولا لحساب فى المستقبل يحاسبون .

* * *

وانقضى اليوم وهم يحسبون أنهم أراحوا أنفسهم من كابوس وأنهم أزاحوا صخرة كانت تسد عليهم باب أبيهم .

وما كان يوسف كابوسًا ولا صخرة ، وإنما هى الغَيْرة ، ويا بئس ما تفعل الغيرة ! .

* * *

وغابت الشمس كما غاب يوسف ، وهدأت نفوسهم ، كما يهدأ الليل ، وفكروا فى كلام يدخلون به على أبيهم ،فقالوا وهم يتصنّعون البكاءَ كالنساءِ : يا أبانا ، اعذرنا ، فقد حدث ما لم يكن فى حُسباننا ، ذهبنا نتسابق ، وأغرانا السباق واللعب ، حتى سهونا عن عزيزنا يوسف ، وكنا تركناه عند متاعنا وغدائنا ، فانقضّ عليه الذئب ، فأكله .

يا أبانا ، إننا لفي حسرة وألم ، وقد بكينا حتى انفطرنا ، على أخينا وحبيبنا يوسف ، ويزيد حسرتنا ، أنك تشكّ فينا ، وفي صدق كلامنا ، مهما حلفنا لك ، وإن لم تنفع الأحلاف والأيمان ، فالدليل على صدقنا وإخلاصنا قميصه هذا الذي مزقه الذئب ، ولطخه بالدم .

فهذه أيماننا ، وهذا دليلنا ، فماذا بقي علينا ؟ .

ياليته يا أبانا أبقى منه لحمًا أو عظمًا ، فكنا جئناك به ، ولكن الذئب الكاسر أجهز على لحمه وعظمه ، ثم لعق دمه ، وكاد يأكل قميصه ، لولا أن أدركناه ! .

* * *

ولكن أين هذا كله من قلب الأب ، المحطم الآسى ، على ولده ، وعلى أعز ولد ، يطأطئ رأسه ، ويكفكف دمعه ، ويقول : يا أولادى : إن قلبى ليحس ، وإن روحى لتقول كلامًا غير هذا ، وإنه لا ذئب ، ولا دم ، وإنما هى النفس الأمّارة بالسوء ، والتدبير السيئ ، والغَيرة المتقدة ، وعقوق الأبوة ، وإهدار الأخوة ! .

اللهم صبرًا جميلاً ، ورضا واستسلامًا ، وعونًا وجلدًا ، على كيدكم ، وسوء نيتكم ! .

* * *

ومرت قافلة من قوافل التجارة ،فاستروَحت المكان ، وحطتْ تستريح ، وبعثوا الساقى بالدلو ، إلى البئر ليملأ دلوه ، وأدلى الدلو ، فتعلق به يوسف ، فلما رآه الساقى ، هلل واستبشر ، وتفاءل بالخير ، وعجب أن تمنحه البئر ماءً ، وغلامًا جميلاً .

* * *

وقدمه للقوم ، فقالوا : ما عَهدْنا الآبار تهدى إلى الناس غلمانًا ، ولابدَّ أنها جريمة ، جريمة إخفاء هذا الغلام عن أهله ، وإننا إذا انتظرنا فى هذا المكان ، حتى تنكشف الجريمة ،فسيضيع وقتنا ، بين التحقيق والتدقيق ، وربما نُسبت إلينا جريمته ، ولابد من أن نخفى هذا الولد ، وأن نحمل بضاعتنا ،ونشد رحالنا ، هيَّا يا رجال إلى مصر ، بهذه اللُّقية ، لنتخلص منها ، فنبيعها بثمن ، أىِّ ثمن ، لمن يرغب فيه ويشتريه .

* * *

وباعوه لعزيز مصر ، ورئيس حكومتها

﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾

(يوسف الآية ٢٠)

ودخل به على زوجته الشابة ، كمن يحمل أغلى هدية إلى زوجته ، ولكنها فترت حين رأت الغلام ، وانطفأ لمعان وجهها ، وانجرحت عاطفتها ، فهذا دليل على شوق الرجل إلى ولد ، وعلى أنها ليس لها ولد ، وهمَّت أن تقول كلامًا .

ولكن زوجها عاجلها ،وسبق عليها ، وقال لها : يا عزيزتى ، هذا غلام اشتريناه فأكرمى مَثْواه ، وقدِّرى جماله وصباه ، عسى أن ينفعنا ، أو نتخذه ولدًا ، يؤنس وَحدتنا ، ويُذهب وحشتنا ، ويملأ البيت علينا .

* * *

وعاش يوسف فى قصر العزيز ، بعد أن كان بالأمس فى الجب ، وعاش فى نعيم الملوك ، بعد أن كان يرعى الغنم فى إخوة لا يحبونه فى المراعى والوديان .

وهدأت نفسه بهذه النُّقلة ، ونما جسمه ، واتسع فكره ، ونضج عقله ، ونضر شبابه ،وازدهر جماله ، وشعَّت فى جسمه حيويته .

ومنَّ الله عليه بسرٍّ من عنده ، فرعاه وتولاه ، وحفظه من نزوات الشباب ووسوسة الشيطان ، وزاده فضلاً ،فعلمه تعبير الرؤيا ، وتفسير الأحلام .

واكتمل شبابه ، وامتلأ عودهُ ، واستطال قوامه ، وبانت فتنته ، وكلل الله عليه نِعَمه ، بالحشمة والوقار والاتزان ، وبالعلم الربّانى ، وبالثقافة الإلهية ، جزاء رضاه ، وإخلاصه للوزير الذى اشتراه وآواه ، وأكرم مثواه .

ويوسف غارق فى التعلق بالله ، منصرف عن كل شىء سواه .

وزُليخة زوجة العزيز غارقةٌ فى متابعة الشيطان ، يَلْفِتها إلى جمال الجسم فى يوسف ، ويصرفها عن جمال روحه ، ويفتنها فى غرامه ، ويصرفها عن أدبه واحتشامه .

ويوسف يصعد فى طريق الخير ، وزليخا تنحدر فى طريق الشيطان .

* * *

فهى تتابعه بالنظرات ، وترميه بألحاظ الجفون ، وتهمس بالآهات والتنهدات ، وتستلفت نظره بالتموُّج والتثنى ، وتستثير نفسه بإبداءِ الزينات والمفاتن ، وترمى شباكها عليه وبكل ما فى وسعها من حيل ، ويوسف مشغول القلب بالله ، وفى خوفِ الله !

وهى تحسب أن انصرافه وهدوءَه صدود وتمنُّع ، يزداد هيامها ، وتحتدم سَوْرتها ، وتتأجج نارها ، ويتوهج لهيبها ، فيُجنُّ جنونها ، وتغيب عن وعيها ،وتنسى قيمتها ، فتلْتاع فى غلامها ،

وتدعوه إلى نفسها ، وتراوده عن نفسه ، وتغلّق الأبواب عليه ، وتستخدم قوتها فى إخضاعه ، والاستيلاء عليه .

* * *

﴿ وَرَاوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾
(يوسف الآية ٢٣)

* * *

والإنسان : عقلٌ وعواطف ، وعواطف الشاب أكثر وأعنف من عقله ، ولكنَّ الله غلَّب عقله على عواطفه ، فرأى يوسف أن من الجحود والنكران ، أن ينسى جميل صاحب القصر ، وأنه آواه ورباه ، وأنه أفسح له حتى اكتمل فى وعيه وعقله وخلقه ، وأنه أنزله من نفسه منزلة الولد ،وأن هذه أصبحت منه بمنزلة الأم ، ولا ترتفع عين الولد فى أمه ، مهما تاهت فى ضلالها .وصاحب القصر قد ائتمنه على عرضه وماله .

ويرى يوسف أن الله سبحانه قد ساق إليه كل هذا النعيم ، فكيف يجعل شكره فى معصيته ؟ وكيف يشكر صاحب القصر بهتك عرضه ؟ .

ورأى يوسف قدرة الله ، فاستحيا من الله ، فبرد جسمه ، واعتصم بإيمانه ، واستبد فى اعتصامه ، والاحتفاظ بدينه وشرفه ، ولولا ذلك لانزلق مع الشيطان .

﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ ﴾
(يوسف الآية ٢٤)

ويا قوة الله التى حفظتك يا يوسف ! ويا عين الله التى لا تنام عنك !

أىّ خُلُق مهما سما ، وأى عزيمة مهما اشتدت ، وأى نفس مهما تحصنت ، لا تقع فريسة لهذا الإغواء والإغراء ، فى خلوة وتأجج وجنون ، لولا رعاية الله وعصمته !

والناس هم الناس ، وأبوهم آدم الذى انكبَّ من أجل ثمر فى شجر ! فما بالنا بشاب فتى عزَب ، يعف عن أطيب فاكهة تلقى تحت رجليه ، فلا يسقط عليها عينيه ، بل يدوسها بقدميه ؟ .

* * *

ومنظر آخر ، منظر شاب استطاع أن يصد تيار الفتنة لحظة ، فما يصح له أن يقف فى وجه التيار ، فلئن قوى وصد التيار مرة ، فقد تخونه قوته ، وتفلت منه أعصابه ، فيهوى من قمة اعتصامه ، إلى سفح عواطفه ، إلى حضيض نزواته .

ورأى من الخير والحكمة ، أن يفر من وجه الشيطان ، وأن يهرب من مسرح الرذيلة ، ويخرج ناجيًا بنفسه قبل أن تتعلق بها شِصُّ الشباك .

فجرى نحو الأبواب المغلَّقة يفتحها ، ورأت زليخا أنه سيفر من بين يديها ، قبل أن تبردَ غُلَّتها ، وتُطفئ ظمأها ، وأن الفرصة إن أفلتت فلن تعود .

فجرت وراءَه تناديه ، وتستعطفه بجمالها وأبهتها ، وقوتها ومالها ، ثم بدموعها ودم قلبها ؛ ولكن النفس متى صدَّتْ وجمحت ، فلن يكبحها كابح ، ولن يُلينها أو يكسرها أىّ قوة ، متى ارتكنت إلى قوة الله .

إذا انصرفت نفسى عن الشىء لم تكد ❊ إليــه بوجه آخــر الدهــر تُقبل .

ولحقت به قرب الباب ، فشدته من ثيابه فمزقتها ، فلم يلتفت إليها وفتح الباب ليخرج ، ولكن .. !

ولكن يالهول ما رأى ! لقد رأى العزيز الحاكم ، واقفًا بالباب يتسمَّع !

﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ﴾

(يوسف الآية ٢٥)

مالكم فى هرج ومرج ؟ ماذا أرى ؟

مالك يا يوسف : ومالك يازليخا ؟ فسكت يوسف ، لأن الحق سيتكلم ، وتكلمت زليخا ، لأنها تخشى أن يظهر الحق .

* * *

وما أقوى المرأة على التمثيل ، وعلى النفاق ، وعلى تمكنها من أعصابها ؟ امرأة العزيز ، التى كانت منذ لحظة ، تتهاوى إلى أسفل مواطن الرذيلة ، ويكاد عقلها أن يفارقها إلى غير رجعة ، والشيطان قد لبس جسمها ، وأشعل نارها ، وأرخص عفافها ، وأهدر كرامتها ، فداست بقدمها شرفها .

تستطيع فى لمح البصر . أن تسترد وعيها ، وتملك نفسها ، وتتمكن من أعصابها ، وتنتصب فى وقفتها ، وأن تُلقى عارها على أكتاف غيرها ، وأن تتقمص مُسُوح العفاف والشرف ، وأن تقول لزوجها . إن غلامك هذا خائن حاول الاعتداء على عفتى وكرامتى

﴿ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

(يوسف الآية ٢٥)

وتمثيل عواصف العهر فى أسفل صورة ، ثم تمثيل عواطف الطهر فى أسمى صورة ، فى وقت واحد ، قوة لا تستطيعها إلا المرأة .

* * *

أما الرجل ، يوسف ، فقد صمد لهذه المفاجأة ، وثبت فى موقفه ، ولم تخنه أعصابه ، ولم ينفجر ثائرًا لهذا التلوُّن البارع ، ولا هذه الجرأة الجريئة ولم يزد على أن قال الحق

﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَّفْسِي ﴾

(يوسف الآية ٢٦)

ولم يشرح ، ولم يَحْك ، ولم يفصح ، ولم يفضح ، وذلك فعل الكريم النبيل ! وكان موقفًا رهيبًا ، بين الحق فى صمته وسكوته وبين الباطل فى عجيجه وضجيجه .

وليُحقَّ الله الحق ، ويُبطل الباطل ، دخل ابن عم هذه المرأة الفاجرة ، وعرف ما كان ، وسطع بريق الحق فى عينيه ، وطن طنين الباطل فى أذنيه ، وغلب البريق على الطنين ، فنطق بالعدل ، وشهد بالصدق ، وفسَّر الموقعة ، وأدلى بالحجة :

﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾

(يوسف الآيات ٢٦ : ٢٨)

وأحسَّ العزيز بحَرَج الموقف ، وبخطورة السُّمعة ، وقدَّر أن الشدة ، لا تصلح علاجًا ، وأن من الحكمة إغضاءَ العين ، والانحناءَ للعاصفة .

فالتفت إلى الشاب الجرىء البرىء ، وقال : يا يوسف ، أَعْرِضْ عن هذا ،وتسامح فى حقك ، فأنت أهل لثقتنا فيك ، وأبعدُ من أن يتسرب الشك إليك .

وأنت يا زليخا : يا مخطئة !! استغفرى لذنبك إنك كنت من الخاطئين .

* * *

وتسرَّبتْ الإشاعات ، ودوَّت الأقاويل ، وملأت المجالس والأندية ،

﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾

(يوسف الآية ٣٠)

وعذلهن ، وما يدور حولها فى مجالسهن ، أرادت أن تدفع عن نفسها اللوم ، وتقطع ألسنة الغيبة ، وأن تجعل نساءَ المدينة يعذرْنها ، ويخفِّفن من نهشها ، فدبرت لذلك أمرًا ، ودعتهن إلى وليمة عندها ، وغذاءٍ فى قصرها ، وهيأت المكان ، وأعدت المقاعد الوثيرة والمتكآت المريحة ، والأرائك الفسيحة ، وقدمت لهن الفاكهة ، تفاحًا وكمثرى وأعدت السكاكين لتقشيرها .

ثم كانت المفاجأة ... ! "

فاجأتهن ، بأن أطلَعت عليهن يوسف ، فى شرْخ شبابه ، واكتمال إهابه وفتنة جماله ، واعتدال قوامه ، ووجهه الوضَّاح ، وورد خده الفوّاح وسحر عيونه ، وأسر جفونه ، وقوة روحه ، وسَبْيِ سكونه ، وجلال أدبه ، ورهبة احتشامه ، ونور طلعته .

والنساء بأسرهن الجمال ، وبسببهن امتشاق القوام ، فوقعن كلهن فى أسره وسحره ، وذهلن عما فى أيديهن من فاكهة وسكين ، ورُحْن بلا وَعْى ، يقطِّعن أيديهن ، وقُلْن فى شهْقة الوَلْهان

﴿ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾

(يوسف الآية ٣١)

رحمةً بها يا يوسف ! ورفقًا بفؤادها ، وحنانيك على قلبها .

إنك تقتلها بتأبِّيك واعتصامك ، وأنت غلامها غلامها وفتاها . فلها ودادُك ووصالُك ، ولا لوم عليها ولا تثريب !

وانتصرت زليخا ، وأخذتها نشوة الانتصار ، وثملت بخمر المكيدة والإيقاع ، وازْدهتها الأيدى المقطَّعة ، والدماءُ المنهمرة ، والفاكهة المضرجة ، والعيون الزائغة ، والأفواه الفاغرة ، والعقول الذاهلة ، لأول نظرة يُلقينها على شاب جميل .

وقالت : نظرةٌ واحدة ، قطعت الأيدى ، وأسالت الدماءَ ، وأذهلت العقول ! .

ولو طالت نظراتكن إليه ، وأقمْتُنَّ بين يديه ، لقطعتُن القلوب عليه ، ولذبْتُنَّ شوقًا إليه ، وأهلكتُنَّ أنفسكن بين يديه .

﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾

(يوسف الآية ٣٢)

* * *

ويوسف كما هو يوسف ، ثابتٌ راسخ ، كثبَاته ورسوخه ، يوم أُلْفِيَا سيدها لدى الباب .

بل إنه اليوم أحوج إلى رعاية الله ، وحصانته وعصمته ، فلقد كانت واحدةً هائجة عليه ، واليوم واحدة ، ووحدات ، يُقطِّعن أيديهن عليه ، ولا عاصم اليوم ، إلا عصمة الله ! .

وأدار لهن ظهره ، ورفع إلى السماء وجهه ، وبسط كفه ، ودعا ربه : فى هذه الساعة الحرجة ، ساعة الفتنة . فقال :

﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾

(يوسف الآيتان ٣٣/٣٤)

* * *

وأحدثت هذه الدعوة ، وتلك الوليمة ، رجَّة فى المدينة ، وفضيحة فى كل بيت ورجعتْ كل مدعُوَّة ، ذاهلة تائهة مُتيَّمة فى حب يوسف ، فاتن الأميرة ، وساحر الأميرات الفاتنات .

وخاف أهل المدينة الفتنة على نسائهن ، ورأى الوزير الخطر ، وأن يَصُدَّ هذه العاصفة الجارفة ، بأن يُبعد يوسف عن أعين الهائماتِ المتيمات ، وأن يحتجزه فى سجن القصر ، لعل البُعد يُنسيهن يوسف ، ولعل السجنَ يطفئ شُعلة جماله ، ويُذوِى نضرة شبابه .

﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ (يوسف الآية ٣٥)

* * *

ويوسف ، كان يدعو الله أن يُبدِّله بحبهن سِجنًا ، وبقربهن بُعدا ، وبفضيحتهن سَتْرًا بين جدران يخلُص فيها لعبادة الله .

* * *

وفى السجن ، أكرمه الله ، فأمدَّه بالعلم ، وزوده بالحكمة ، وألهمه تعبير الرؤيا ، وتفسير الأحلام .

* * *

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ﴾

(يوسف الآية ٣٦)

سجينان آخران ، ولم يمض يومٌ ويومان ، حتى رأى الفَتيان رؤيا فى المنام ، فأصبحا يقُصَّان ما رأيا على يوسف

﴿ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ ﴾ (يوسف الآية ٣٦)

العنب ، وأقطُره وأعتِقهُ فيكون أجود خمرًا

﴿ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ ﴾

(يوسف الآية ٣٦)

يا أخانا يوسف ، ما تأويل رؤيانا ، بالله عليك أصدقنا ، وأرِحْ خواطرنا ، ولعل فيها الخير ، ولعل فيها فرجًا بعد شدة ، وانفكاكًا من سجن ، فالسجن مقبرة الأحياءِ وشماته الأعداءِ ! .

﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۖ ﴾

(يوسف الآية ٤١)

فسيُعْفى عنه ، ويشمله عطف الملك ، وسيقرِّبه إليه ، فيكون ساقيه ، والمؤتمن على حياته ، وسيعلو ذكره ، ويسمو قدره .

وأما الآخر ، فسيثبت اتِّهامه وسيُقتَل ويُصْلب ، حتى تأكل الطير من رأسه

* * *

وغلط يوسف غلطة ، ما كان ليقع فيها نبيٌّ ولا رسول .

وما كان ليقع فيها يوسف الذى أبت نفسه أن يجلس على عرش النساءِ ، وفى عفةٍ وكرامةٍ ، داس على قلوب الفاتنات الحسان ، وهو يخطر داخل السجن ،طائعًا مختارًا .

* * *

ولله حكمة فى أن يغلط يوسف ، حتى تكون لنا فيها موعظة وعبرة .

* * *

حاشاك يا يوسف ، أن تنسى ربك ، وإلهك ،وتطلب العون من إنسان كان بالأمس سجينًا معك ! .

هل استبطأتَ رحمةَ ربك ؟وهل ضَجِرتَ من ابتلاء الله وامتحانه ؟ وإذا كنتَ وأنت النبى المعصوم ، تفزع من الابتلاءِ ، وتتشوق إلى الخلاص ، وتستغيث بإنسان ، فماذا يصنع الذين ليسوا بأنبياءَ ، ولا أصفياءِ الرحمن ! .

﴿ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ ﴾

(يوسف الآية ٤٢)

وكان أن أدبه الله ، وأنسَى ذلك الإنسان ،فظل يوسف فى السجن بضْع سنين . نعوذ بالله من غضب الله ! حتى الأنبياء ،لا يُعْفَونَ من غضب الله ! .

* * *

وإذا كانت لَفْتَةً واحدة ، التفت فيها يوسف عن ربه ، كان جزاؤه وتأديبه سبع سنين فى سجن مظلم ،فماذا يكون جزاؤنا وعقابنا ، وحيَاتنا كلها فى غَفْلةٍ عن ذِكر الله ، وعن الصلاة ، وعن تحرى ما أمر الله ، وفى الإغراق فيما حرّم الله ؟

لنا الله ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ ﴾

(البقرة الآية ٢٨٦)

* * *

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ ﴾

(فاطر الآية ٤٥)

* * *

وشاءَ الله سبحانه ، أن يهيئ ليوسف أسباب العفو عن هذه الهفوة ، والإفراج عنه من هذا السجن ؛ وأن يجزيه على ما صبر واعتصم ، وأن يخرجه من السجن إلى كرسى الحكم ، وأن يضع فى يديه زمام الخلق ، وأن يحكمه فى أرزاق الناس ،وأن يجعله أميناً على خزائن الأرض .

* * *

ويشاءُ الله سبحانه ، أن يُهيئ ليوسف الخلاص ، ومن نعمة الله على يوسف ، ألا يكون للوزير فضلٌ فيه ، وإنما كان الملِكُ نفسه محتاجًا إليه .

* * *

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ﴾

(يوسف الآية ٤٣)

فهبَّ من أحلامه مذعورًا ، واستغاث بالمفسرين والعرَّافين ، ومالهم بذلك من علم ، إن هم إلاَّ يَخرُصُون

﴿ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴾

(يوسف الآية ٤٤)

وقال ساقى الملك : يامولاى ، لقد تذكرت ،تذكرت صاحبى فى السجن ، الذى بشَّرنى بعفوك منذ سبع سنوات ، إنه وحده يا مولاى ، الذى يُنبئنا بتأويل رؤياك ، ائذن لى يا مولاى الملك ، أن أدخل السجن عليه .

واعتذر الساقى ليوسف من نسيانه ، وسأله :

﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

(يوسف الآية ٤٦)

قال يوسف : يا صاحبى ،رؤيا ملككم هذه ، امتحانٌ كبير ، وحذرٌ حَذِير ، وخيرٌ كثير ، وشرٌّ مستطير ، ولا عاصم إلا الله القدير ، ولابد من تفكير وتدبير ، تُخصِبُ الأرض سبع سنين ، وتقحَطُ سبعَ سنين ، ثم يأتى بعد ذلك عام سَمِين

﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾

(يوسف الآيات ٤٩/٤٧)

وعاد الساقى إلى الملك ، فخشى العاقبة ، وخاف الملك على شعبه أن يَغْرَق فى النعمة ، ولا يدَّخر من يومه لغده ، ولا من يُسره لعُسره ،فيهلك الناس أجمعون .

* * *

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ﴾ (يوسف الآية ٥٠)

فلما جاءَه الرسول ، كان يوسف كما كان هو يوسف ، لم يَخُف ، ولم يَفْزَع ، ولم يستَخِفَّه هذا الاستدعاءُ ، فإن النفوس الأبية ،لا تذِل ولا تستحذى ، مهما استبد بها الزمن ، وأرهقها الظلم ، وما يزيدها ذلك إلا إيمانًا واعتصامًا ،وقال فى عزة وأنَفَة :

﴿ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾

(يوسف الآية ٥٠)

ونسين أنفسهن ، وبذلْن فى تحريضى على الشر جُهدهن ، وناصَرْن أختهن ،وعَذَلْننى ولُمْنَنى فى هجرهن ، فهن صواحب الشيطان، يا ساقى الملك! الله أعلم بموقفى وموقفهن ،وهو ربى صاننى ، فصرف عنى كيدهن ، فما هِمْتُ بهن ولا بصاحبتهن وإن كنَّ أوقعننى فى السجن سبع سنين بظلمهن ومكرهن ، وأنا على هذا لستُ من الآسفين .

وعاد الساقى إلى الملك ، فأمر بجمعهن وقال :

﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ ﴾ (يوسف الآية ٥١)

وبان ، واتضح نُبْله وكرمه ، وأنا حقًا اعْتَدَيْت عليه ، وطمِعْتُ فيه :

﴿ أَنَا رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾

(يوسف الآية ٥١)

وأُقرِّر وهو غائِب ،أننى لم أستطعْ أنْ أسْلُبه شرفه ، وأننى خُنْته ، وغدرْتُ به .

ولعل يوسف ، حين اعتصم بالسجن ،وردَّ ساقى الملك ، كان ذلك ليتأكد للملك ، حين يستمع إلى شهادتهن ، أنَّ يوسف برىء وأنه عفٌّ عن أن يخون العزيز فى عرضه ،يوم كانت الخيانة ميسورةً لديه ، سهْلةً عليه ، ويوم كانت الخيانةُ تَغْمُرُه برضا الأمير ، وزوجة

الأمير ، ولكنه عفٌّ فاتّهمته واستعصم فسجّنته ، وجعلته من الصاغرين . ولكن الله لا يهدى كيد الخائنين .

* * *

ولم تأخذْهُ نشوةُ الانتصار ، ولا أغْرَتْه حَوْجة الأمة إليه ، واعتمادُها فى وقت الشدة عليه ، ولا غرَّه أن أصبح رجل الساعة وسيِّد الموقف ، ولكنه سجد لله يشكره ويصلى له ، ويغالب نفسه ؛ التى ضاقت بالحبس سبع سنين ، وضاقت بالمرأة التى غلبته وحبسته ، واستعان الله على كَسْرِ شِرَّةِ النفس العطشى إلى الثأر والانتقام :

﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ ﴾

(يوسف الآية ٥٣)

ولَقى الملك ،وتحدث إليه ،فرأى فيه مخايلَ الأمانة ، وحكمةَ التصرف ، وعزة النفس ، وأمارات السيادة ، فقرَّبه إليه ، ورفع منزلته لديه ، وولاه خزائن الدولة ، وبين يوم وليلة ، أفرج عنه من سجنه ، وتربَّع فى كرسى وزارته ، وقال للملك ، وهو اثقٌ من نفسه :

﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾

(يوسف الآية ٥٥)

* * *

وجادت السماءُ ، وفاض النيل ، وأخصبت الأرض ، وشاعت البركة ، وعمَّ الخير ،وغنىَّ الطير ، وأمر يوسف الناس ، أن يدفعوا لمخازن الدولة ما يَفيض عن الآكلين ، يتركونه فى سنابله ، ويكدِّسونه فى مخازنه ، عامًا بعد عام ،سبعة أعوام ، حتى فاضت المخازن بالرزق الوفير .

ثم بخلت السماءُ ، وشحَّ النيل ، وأجدبت الأرض ، وأنكرت الزرع ، وأكلت البذر ، وجفَّ النَّبت ، وصَمَتَ الطير ، وشاع الجوع ،وخاف الناس الهلاك ،وفزعوا إلى يوسف ، ففتح المخازن ، ووزَّع الأقوات ، وأطعم الجياع ، وأمَّن الناس ، وعدل فى العطاء ، فحسُن ذِكره ، وذاع صيته ، وتسرَّب الحديث عنه ، حتى خطَّى الحدود ، وملأ ربوع الشام .

وفى أرض كنعان ، يعيش الناس فى أرض قحط ، وعيش شظف ، ورزق جاف ، وقد

سمعوا عن مصر ما سمعوا ، من بحبوحة فى الخير ، وسَعة فى الأرزاق ، وسمعوا أن وزيرها الكريم ، لا يضن على مَن يقصدونه ولا يبخل على المحتاجين .

* * *

وخرج بنو يعقوب العشرة ، راحلين إلى مصر ، ودخلوا إلى الوزير الخطير

﴿ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾

(يوسف الآية ٥٨)

عرفهم يوسف ، لأنهم إخوته ، وصُوَرُهم فى ذهنه منذ صباه ، كما هى لم تتغير ،والصُّور المنقوشة فى ذهن الصِّغر ،تبقى واضحةً كالنَّقْش على الحجر .

عرفهم ، ولم يعرفوه ، فهو الآن قد تغيَّر ، وكبر بعد صِغَر ، واغتنى بعد فقر ، وعاش بعد أن دفعوه إلى الموت ، وعزَّ بعد أن حقَّروه وأهانوه ، ووَزيرًا بعد أن كان من رُعاة الأغنام ، فكيف يعرفون وُجُودًا من عَدَم ؟

ومن أجل هذا عرفهم ، وهم له مُنكرون ، ولم يخطُر على بالهم أنه نجا من الجب الذى أُلقوه فيه ، وأنه عاش وكبر ، ونزح من القدس إلى مصر ، ليصير وزيرًا خطيرًا .

ولكنّ الدم يحنّ إلى الدم ، مهما فرقتْ بينهما الْجَفوة ، وقطَّعتْ حبل الوداد القسوة ،فهؤلاء إخوتى ، أبناءُ أبى ، وأنا أخوهم ، وابن أبيهم .

* * *

ولكن ! ما بالُك يا يوسف ، لا تنْسَى أساهم ، ولا تزال تذكر غلظتهم وجَفَاهم ، وما بالُك يايوسف ، تأخُذُك نفسُك ، فلا تسارع بالتعرف إليهم ، ولا ترتمى فى حِضْنهم ، ألا تزالُ واجدًا عليهم ؟

* * *

وحاوَرَهم وداوَرَهم ، وسألهم ، ، وأكثرَ من التحرِّى عنهم ، والتدقيق فى بحث أمرهم ، والتفتيش عن أخبارهم ، وما بلدُهم ؟ وما حَسَبُهم ونَسَبُهم ؟ ومن أبوهم وأمُّهم ؟ وكم إخوتُهم ؟ ومَنْ لأبيهم ومَنْ لأمِّهم ؟ وأين هذا ؟ وأين ذهب ذاك ؟حتى انشغل بالهُم ، من طول تفرُّسِه فيهم ، وتساءَلوا فيما بينهم ، مالهذا الوزير يتقصَّى أخبارنا ، ويتشكك فى أمرنا ، وأبينا وإخوتنا ؟

وما سَمِعْنا أنه انشغل بغيرنا ، كما انشغل بنا ؟

هل لَمسَ سُوءَ حالِنا فعطف علينا ؟ أم شك فى عددنا فَحَذِرَ منا ؟

أم هناك أمرٌ خفيَ علينا ؟

﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴾

(يوسف الآيتان ٥٩/٦٠)

﴿ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

(يوسف الآية ٦٢)

فلما رجعوا إلى أبيهم ، ورأوْا آثار إكرام العزيز فيهم ، وكيف ردَّ بضاعتهم إليهم ، وأنه بهذا ، قد ورَّطهم ليأتوه بأخيهم ، توجهوا إلى أبيهم ، يُراوِدُونه ويُمنُّونه ، ويترجَّوْنه أن يُرسل معهم أخاهم ، فإنَّ عزيز مصر قد شكَّ فيهم ، وسوف لا يُصدِّق دعواهم ، إلا بدليل يقدمونه بين أيديهم ، وإلا فقد أنذرهم بالحرمان ، وحذَّرهم من دخول الأوطان .

﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي ﴾

(يوسف الآية ٦٥)

أكثر مما ترى ! فهذه غلة بلا ثمن ، وبضاعةٌ ردها إلينا ، وقد وَعَدنا أن يزيدنا حِمْلَ جملٍ بلا مقابل ، إنْ نحن صَدَقْنَا وَوَفَيْنَا .

يا أبانا إننا نَعِدُك أن نحفظ أخانا ، وأن نرده سالمًا إليك .

* * *

﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ ﴾

(يوسف الآية ٦٦)

وعهدًا عليكم ، أن تردُّوه على ،وتُعيدوه سالمًا إليَّ ، وألا تُؤذونى فيه ، كما آذيتُمونى فى أخيه .

* * *

ويارحمة الله ، ويا حنان قلوب الآباءِ ! حتى فى هذه الشدة يايعقوب ، وأنت مكروب ، وجُرحُك ما يزال يقطر دما من أجل يوسف ؛ وحتى وأنت تسلِّم أخاه بنيامين لإخوته هؤلاء

القُساة الظالمين ، من أجل الغذاء والتموين ، وحتى وأنت تحسُّ وتتوقع أنك ستُلْدغ من هذا الجُحر مرَّتين ، وحتى فيما أنت فيه وتعانيه ، يأخُذُك الرفق والحنان بهؤلاءِ ، فلا تقسو عليهم فى الحِلف ، ولا تُضَيق عليهم الخناق ، وتفتح لهم باب الاعتذار ، إذا حدث ما لم يكن فى الْحُسْبان . وتقول

﴿ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ﴾

(يوسف الآية ٦٦)

إلاَّ أن تُغلَبُوا على أمركم ، أو يخرج الأمر عن طَوْقِكم ، أو حين لا تستطيعون أن توفوا بعهدكم فيُؤْخَذُ أخوكم عَنْوةً عنكم ، وحينئذٍ فلا تثريب ولا حَرَجَ عليكم .

أهى الرحمة يايعقوب ؟ أم هو التنبُّؤ بما سيكون . أم هى إرادةُ الله ترضاها ولا تتحدَّاها ، أم هى فراسة المؤمن ، حين يرى من بعيد بلا تحديد ؟

﴿ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾

(يوسف الآية ٦٦)

وسمحت نفس الأب الحزين المكلوم ، وأذِنَ لهؤلاءِ ، أن يصحبوا معهم أخاهم وأن يذهبوا به إلى عزيز مصر الذى مَنَاهم ، وقد يكون يا أولادى أبَر به منكم فخذوه على بركة الله ، وأمره وأمرى إلى الله .

* * *

ويالقلوب الآباءَ على الأبناءِ ! يالقلبك يا يعقوب ؟ والله ما أحنى ضلوعَك على بنيك ،فلا تنسى أبدًا أنهم بنوك ، مهما عقُّوك !

تخاف عليهم الرَّدى ، وتخشى عليهم العَيْن ، والعَيْن الحاسدة ، سَهْمٌ مُسدَّدة ، وأسلحةٌ محدَّدة ، بل هى نارٌ موقدة !

وقد استغاث نبيُّنا محمد صلى اللهعليه وسلم من الحسد

﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾

(الفلق الآية ٥)

* * *

ويخرجون يا يعقوب ، فتَتْبعُهم عينك ، ومعهم قلبُك ،وتحرسُهم دعواتُك ، وتنصحهم

﴿ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ﴾

(يوسف الآية ٦٧)

ثم يردّك إيمانك بالله ، وَالرضا بما سبق فى قضاءِ الله واعتقادك أنه لا ينفع حَذَرٌ مِن قَدَر ، فتسترجع وتقول

﴿ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ﴾

(يوسف الآية ٦٧)

ثم تُسَلم أمرك لله ، وتتوكل على الله ، كما يتوكل عليه كل من آمن بالله

﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾

(يوسف الآية ٦٧)

* * *

﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾

(يوسف الآية ٦٩)

ورأى أخاه ، سجد شكرًا لله على أن ساق إليه أخاه ، ووجده على قيد الحياة ، فى يد أعداه ، وهُم الذين من قبلُ طاردوا أخاه ؟

* * *

ودعاهم إلى طعام ، وأجلسهم اثنين اثنين ، فبقى بنيامين بلا رفيق ، فبكى من وَحْدته ، وتذكر يوسف فى غَيْبته ، وتحدَّرتْ دموعه ، وضاقتْ ضلوعه .

وثارت شجون يوسف لما رآه وتحركتْ نفسهُ لسابق ما عاناه وقاساه .

فمال على أخيه ، وقال : يابنيامين

﴿ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾

(يوسف الآية ٦٩)

ولا تكاشِفْهُم بما يجهلون ، وسأُدبِّر أمرًا وهم لا يشعرون ، وستبقى وهم راحلون .

* * *

﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ﴾

(يوسف الآية ٧٠)

قال لفِتْيانه ؛ دُسُّوا كأس الملك فى رَحْلِ أخى بنيامين ، من حيث لا يدرون ، ثم دَعُوهُم يرحلون .

* * *

وخرجوا ، وخرج معهم بنيامين ، إلى ظاهر المدينة ، وحين بدءُوا الطريق إلى الشام ، لَحِقَ بهم المنادى يصيح : يا أهلَ الشام ، يأيُّتها القافلة الراحلة

﴿ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾ (يوسف الآية ٧٠)

﴿ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴾

(يوسف الآيتان ٧٢/٧١)

وهو غالٍ علينا ، مُقَدَّسٌ لدينا ، وعارٌ فينا ، أن تضيع كأس ولينا ومولانا .

ونذرٌ علينا ، أن نُهدى إلى مَن يردُّه إلينا ، حُمولة جَمَلٍ كبير من قمح وشعير ، وهذا وعْدُ وزير ، ووعْدُ الوزير خطير .

* * *

﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴾

(يوسف الآية ٧٣)

ونحن أمناءُ خُلَصاءُ ، مِن ولَدِ الأنبياءِ ، وشريعتُنا من السماءِ ! فسألوهم : وماذا فى شريعتكم لعقاب السارقين ﴿ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ ﴾ (يوسف الآيات ٧٦/٧٤)

وحقَّ حكْمُ الشرع فيه ، وأُخِذَ بنيامين بكأس الملك .

﴿ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ ﴾

(يوسف الآية ٧٦)

وديوان المملكة ، إلا بإرادة الله ، وليس بتفكيرك ، ولا تدبيرك يا يوسف ، إلا أن يشاء الله .

وبُهتَ الإخوة العشرة ، واختلط عليهم أمرهم ، لهَوْل العار الذى سيلحق بهم ، وهذا الأخ الذى سرق ، فنُسِبَتْ السرقة إليهم أجمعين .

* * *

فطاش عقلهم ، وانساب لسانهم

﴿ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُ ﴾ (يوسف الآية ٧٧)

يُريدون يوسف ، وما سَرَق يوسف ، ولكنها دَفْعَةُ الغضب ، ورَحْمة الحرَج ، والتنصُّل من العار . فكان عذرهم أقبح من ذنبهم .

﴿ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ ﴾ (يوسف الآية ٧٧)

وقال وهو غاضب زاهدٌ فيهم

﴿ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾

(يوسف الآية ٧٧)

واحمرَّ وجه الوزير ، وبان غضبه ، وكشَّر نابه ، وأغمض جفنه ، فحسُّوا بخطئهم ، وسوء تنصُّلهم من تضامنهم وتمرُّدهم على شريعتهم ، وحرج موقفهم في بلد غير بلدهم .

وماذا يصنعون لأبيهم ، وقد أشهد الله عليهم ، أن يُرجعوا إليه أخاهم . فراحوا للوزير يعتذرون ويستعطفون ويقولون :

﴿ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٧٨ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ﴾

(يوسف الآيتان ٧٨/٧٩)

وصرف عنهم نظره ، وولّى ظهره ، وأغلق الباب بينهم وبينه .

* * *

ووقعوا في ضيق ، وانحدروا في مأزق ، واجتمعوا بعيدًا عن الناس ، وتناجَوْا في أمرهم

﴿ قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمُونِي فِي يُوسُفَۖ فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴾

(يوسف الآية ٨٠)

يحكم بيني وبينكم ، ويُظهر حقي وحقكم ، يوم نصحتُكم ألا تقتلوا يوسف ، وألا تمسُّوه بسوءٍ ،ويا إخوتي ، هذه أختُ تِلك ، وسيأخذكم ربكم بتمرُّدكم عليَّ ، وأنا أكبركم ، وعلى أبيكم ، وهو ذو فضل عليكم .

ويا خَيْبَةَ ما رجعتم

﴿ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ ۖ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾

(يوسف الآيتان ٨١/٨٢)

والتجار الذين كنا معهم ، واحْلِفوا له :

﴿ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾

(يوسف الآية ٨٢)

* * *

وماذا يفيد يعقوب ، مِنْ أعذار ، إلا أن يستسلم للمقادير ! وماذا يستطيع ، وهو الشيخ الكبير ، ذو القلب الكبير ، إلا أن ينصرف إلى الله يدعوه ويضرع إليه

﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

(يوسف الآية ٨٣)

* * *

وتولّى عنهم ، وراح يَندُب حظَّه ،ويبكي ولدَه بعد ولد ، والجُرْحُ الأول أعمق ، والجُرح على الجُرح أنكى وأشدّ .

* * *

فبكى وتحسّر ، وطال بكاؤه حتى نفِدَتْ دموعه ، وابيض سواد عينه ، فعمي ، وكظم غيظه ، وانطوى على نفسه ، وشَرَد فكره ، وكاد يهلِك ، إلا أن تتداركه رحمة الله .

* * *

وعزَّ على أهله ، فواسَوْه وصبَّروه ، ولامُوه على إغراقه فى أحْزانه فقال لهم : يا قوم ، مالكم تلومون وأنتم لا تعلمون

﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(يوسف الآية ٨٦)

وما أحلى الأمانى والآمال ؟ هما روْح وريحان ، وعَوْنٌ على الحَدثان ، وصِمَامُ الأمان فى حياة الإنسان .

وما أحب الأمل فى الله ، والتمنى على الله ! حين يقول يعقوب لبَنيه

﴿ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾

(يوسف الآية ٨٧)

يا ليت الآباء هكذا يصنعون ، ويبعثون روْح الأمل فى بنيهم حين لا يُوَفَّقُون ، وياليتهم يأخذون بأيديهم حين يسقطون ويقعُون ، ولا يَسخطون ويَصْخَبُون ، وياليتهم بهذْيك يا يعقوب يسترشدون، تدفعهُم إلى العمل، بما تُوَلِّد فيهم من أمل، يابنى، لا تيئسوا من رَوْح الله!

وجهَّزوا جهَازهم ، وحملوا متاعهم وبضاعتهم ، ودخلوا مصر ، وقد هدَّهم التعب ، وكدهم العيش ، وضاقت بهم السُّبل ، لأبيهم الفانى ، وأخيهم الأسير ، والعزيز الغاضب ، والقحْط القاتل ، والحياة المهدَّدة ، والنفس المنكسرة .

﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ ﴾

(يوسف الآية ٨٨)

من صوف ، ودراهمَ زُيوف ، وقليلٍ من قليل

﴿ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴾

(يوسف الآية ٨٨)

* * *

ويوسف دقيقُ الحس ، رقيقُ القلب ، لطيف الوجدان ، وإلى هذا الحدِّ لا يطيق ، أن يرى على إخوته الذُلَّ والتذلُّل ، والمهانة والاستكانة ، وطَلَبَ الصدقة والمعونة .

أما إلى هذا ، فما قَصَدْتُ يارب .

* * *

وبدأ يلين القلب ، ويَبْسِم الوجه ، وتبدو البشاشة ، وتظهر النَّخْوة ، وبوادر النَّجْدة ، وعلامات العفو والسماحة ، ولَمعَتْ العَيْن ، وسحَّت بدمْع الغُفران والمحبَّة .

﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي ۖ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ۖ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا ﴾ (يوسف الآيات ٨٩-٩٣)

الذى أبقَيْتموه على جسدى ، ليستُره إن عشت ، أو يُكفِّنى إن متُّ ، يوم الجُب

﴿ فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (يوسف الآية ٩٣)

* * *

يرحمك الله يا يعقوب ، تَشَمُّ ريحَ يوسف من مصر إلى الشام ، أمْ هى ريحُ الله هبَّتْ على فؤادك ، فطيَّبته وطرَّته ؟

ألم تقُلْ يا يعقوب ، لاتيئَسُوا من رَوْحِ الله فذلك رَوْحُ الله ، ورَيحان الأمل ، وعِطْر الوُجدان ، ونَوْحُ الاطمئنان !

* * *

﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ ﴾

(يوسف الآية ٩٤)

يرحمك الله يا يعقوب ، تَجِدُ ريح يوسف ، وتَشَمُّها على بُعْد الطريق إليك ، وتخشى أن يُكذبوك ، ويتَّهِمُوك ، بأنك خَرِفْتَ ، وهم كما حَسِبْتَهم ، يحلفون ويقولون

﴿ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴾ (يوسف الآية ٩٥)

وإنك لمريضٌ سقيم .

﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ ۖ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴾

(يوسف الآية ٩٦/٩٧)

* * *

قال : سوف ..وبَعْد حين ، وبعد أن أطْمئنّ على ولدى وولدى ، وبعد أن يَكتحل بمرآهما عيني ، وبعد أن تَبْرَدَ نارِ الفراق بالتلاقى ، وبعد أن يسكن قلبى ، ويَبرح عنى غضبى ، وبعد أن أصفُو إلى نفسى ، فأتوجّهَ إلى ربى

﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾

(يوسف الآية ٩٨)

* * *

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ ﴾

(يوسف الآيتان ٩٩/١٠٠)

وخروا جميعا له ساجدين .

أمُّه الشمس ، وأبوه القمر ، والكواكب إخوته الأحد عشر .

﴿ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾

(يوسف الآيتان ١٠٠/١٠١)

* * *